النقد اللغوي في المعارك الأدبية قراءة نقدية الدلالة أنموذجاً

د. أَحْمَد غَانِم عَبْد اَلْحَمْزَة / جَامِعَةُ اَلْمُثَنَّى / كُلِّيَّةُ اَلتَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ اَلْإِنْسَانِيَّةِ.

ahmed.ganim@mu.edu.iq

اَلْمُلَخَّص:

قَرَأَ البَحْثُ النَّقْدَ اللّغَوِيَّ ولَا سِيَّمَا الدَّلَالِيُّ فِي المَعَارِكِ الأَدَبِيَّةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ لِيُسَلِّط اَلضَّوْءَ عَلَيْهَا، وَيُبَيِّنَ أَهَمَّ الظَّوَاهِرِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي وَقَفَ عَلَيْهَا الشُّعَرَاءُ فِي مَعَارِكِهِم، وَعَدُّوهَا اَلمِعْيَارَ الأَسَاسِيَّ فِي نَقْدِهِم، مِنْهَا ظَاهِرَة التَّرَادُفِ، فَقَد نَقَدُوا مَنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَلْفَاظَ المُتَرَادِفَةَ فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ وَاحِدٍ، وَعَدُوا هَذَا الِاسْتِعْمَال ضَعْفًا أُسْلُوبِيًّا وَلُغَوِيًّا، يُشِيرُ إِلَى تَكْرَارِ اللَّفْظِ نَفْسِهِ، وَالمَسْأَلَة الْأُخْرَى الَّتِي وَقَفَ عَلَيْهَا اَلْبَحْثُ مَسْأَلَةَ اِسْتِعْمَالِ الألْفَاظِ الغَرِيبَةِ وَالمَهْجُورَةِ، وَهِيَ مِنْ الظَّوَاهِرِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ مُنْذُ زَمَنٍ قَدِيمٍ، وَكَانَ لَهَا نَصِيبٌ كَبِيرٌ عِنْدَ عُلَمَاء اللُّغَةِ وَأَصْحَابِ المُعْجَمَاتِ، فَقَدْ وَضَعُوا الضَّوَابِطَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى اِسْتِعْمَالِهَا وَمَعْرِفَتِهَا .

سَعَى الْبَاحِثُ إِلَى قِرَاءَةِ هَذَا النَّقْدِ قِرَاءَةً نَقْدِيَّةً فَاحِصَةً بِالرُّجُوعِ إِلَى المُعْجَمَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وَكتب الدَّلَالَةِ ؛ لِإِثْبَاتِ صِحَّةِ النَّقْدِ مِنْ عَدَمِهِ، وَمَعْرِفَة أَهَمّ المَعَايِيرِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي اِعْتَمَدَهَا الشُّعَرَاءُ فِي نَقْدِهِم، وَمَا عِدَّتُهُم ؟ الَّتِي يَعْتَدُونَ بِهَا، وَهُمْ يَدْخُلُونَ غِمَار النَّقْدِ وَيَخُوضُونَ فِي بَحْرِهِ، وَهَلْ كَانَ غَرَضُهُم الرَّئِيس؟ هُوَ خِدْمَة اللُّغَةِ وَالدِّفَاعِ عَنْهَا بِنِيَّةٍ حَسِنَةٍ، وَقَصَدٍ سَلِيمٍ بَعِيدٍ عَنْ الِانْتِقَاصِ مِنْ اَلْآخَرِينَ؛ لِأَنَّ النَّقْدَ هُوَ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ مُعَرَّضٌ لِلْخَطَأ وَسُوءِ القِرَاءَةِ وَالتَّأْوِيلِ؛ لِذَلِكَ فَهُو قَابِلٌ لِلْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ؛ لِتَصْحِيحِ خَطَأَهُ وَتَصْوِيب مَسَارِهِ .

فَكَانَ هَذَا اَلْبَحْثُ هُوَ قِرَاءَة القِرَاءَةِ الَّتِي قَدَّمَهَا الشُّعَرَاءُ فِي نَقْدِهِم، وَالْبَحْثُ فِي مُوَاطِن اَلقِرَاءَةِ وَتَتَبّع وَاسْتِقْرَاء الظَّاهِرَة بِالنَّقْدِ، وَالْوَصْفِ، وَالتَّحْلِيلِ؛ لِأَنَّ النَّقْدَ بِحَاجَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ إِلَى نَقْدٍ آخَر يَبْحَثُ خَبَايَاهُ وَيَقْرَأُ سُطُورَهُ وَيُحَقِّقُ فِي أَدِلَّتِهِ.

وَسعيتُ لإسناد البَحْث بِاَلشَّوَاهِدِ اَلْقُرْآنِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ ؛ لِإِثْبَاتِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي هَذِهِ اَلْقِرَاءَةِ اَلنَّقْدِيَّةِ ؛ لِتَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى أُسُسٍ عِلْمِيَّةٍ وَشَوَاهِد لُغَوِيَّةٍ .

الكلمات المفتاحية: (النقد، الدلالي، المعارك ، الأدبية).

Linguistic criticism in literary battles, critical reading, and semantics as a model

Dr.. Ahmed Ghanem Abdel Hamza / Al-Muthanna University / College of Education for Human Sciences.

Abstract:

The research examined linguistic criticism, especially semantic criticism, in the literary battles that took place between poets in the twentieth century, in order to shed light on them and show the most important The semantic phenomena that the poets noticed in their battles, and they considered them the basic criterion in their criticism, including the phenomenon of synonymy. They criticized those who use Synonymous words in context One linguist considered this usage a stylistic and linguistic weakness, indicating the repetition of the same word, The other issue that the research focused on was the issue of the use of strange and abandoned words, which is one of the semantic phenomena that occurred in Our Arabic language has been around since ancient times, and it had a great share among linguists and lexicographers. They set the rules and regulations that Help to use and know it. The researcher sought to read this criticism critically and closely by referring to linguistic dictionaries and semantic books. To prove the validity of criticism or not, and to know the most important critical standards that poets adopted in their criticism, and what they used? Which they rely on, as they enter the abyss of money and wade into its sea, and was that their main purpose? It is to serve the language and defend it in good faith, and with sound intent, far from detracting from others. Because criticism is a human work that is subject to error, misreading, and misinterpretation; Therefore, it is amenable to the second reading; To correct his mistake and correct his path.

This research was a reading of the reading presented by the poets in their criticism, and a search into the areas of reading and tracking and extrapolating the phenomenon with criticism. Description and analysis; Because criticism is in constant need of another criticism to explore its secrets, read its lines, and investigate its evidence.

I sought to support the research with Qur'anic and poetic evidence. To prove what we are aiming for in this critical reading: To be based on scientific foundations and linguistic evidence.

Keywords: (criticism, semantic, battles, literary).

توطئة:

النَّقْد اللُّغَوِيّ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي يَعْتَمِدُ السَّلَامَةَ اللُّغَوِيَّةَ مِعْيَارًا رَئِيسًا لِلْحُكْمِ عَلَى الجَوْدَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِلنَّصّ بِكُلّ مُسْتَوَيَاتِ اَللُّغَةِ، وَيَسْعَى لِبِنَاءِ نَصٍّ مَسْبُوكٍ صَرْفِيًّا، وَصَوْتِيًّا، وَنَحْوِيًّا؛ لِيُشِير إِلَى دَلَالَةٍ وَاضِحَةٍ[١].

وَعَرَّفَهُ البَاحِثُونَ بِأَنَّهُ :" الوُقُوف عَلَى اَلنَّصّ سَوَاء أَكَانَ نَثْرًا أَمْ شِعْرًا ؛ لِلْكَشْفِ عَنْ مَوْاطِن الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ فِيهِ، وَيَقُومُ عَلَى اَلكَشْفِ عَنْ جَوَانِبِ النّضْجِ الفَنّيّ فِي النّتَاجِ الْأَدَبِيّ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهَا، وَإِصْدَارِ الْحُكْمِ بِالْجَوْدَةِ أَوْ الرَّدَاءَةِ"[٢].

وقد ظَهَرَ النَّقْدُ اللُّغَوِيّ مُنْذُ وِلَادَةِ الشِّعْرِ لَا سِيَّمَا فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيّ، وَذَكَرَ لَنَا الْأَصْبَهَانِيُّ أَنَّ النَّابِغَة هُوَ مِنْ أَوَائِل النُّقَّاد فِي سُوقِ عُكَاظٍ[٣]، وَقَدْ أثبت البَاحِثُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَة، مِنْهُم أَحْمَد أَمِين فِي قَوْلِهِ: " وَيَرْوِي الرُّوَاةُ أَنَّهُ كَانَ لِلْعَرَبِ أَسْوَاقٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا وَيَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ وِيتَنَاقَدُون، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا عَامِلاً اِجْتِمَاعِيًّا فِي تَرْقِيقِ الألْفَاظِ ، وَتَدْقِيقِ المَعَانِي، وَتَرْقِيَةِ النَّقْدِ، وَعَلَى الْأَخَصّ سُوق عُكَاظٍ، وَيَرْوُونَ عَنْهُ أَنَّ النَّابِغَة الذُّبْيَانِي بَرَزَ فِي نَقْدِ الشُّعَرَاءِ وَتَفْضِيل بَعْضِهِم عَلَى بَعْضٍ، كَمَا فَضَّلَ الْأَعْشَى وَالْخَنْسَاء عَلَى غَيْرِهِمَا مِنْ الشُّعَرَاءِ، وَعَابُوا هُمْ عَلَيْهِ اَلْإِقْوَاءِ"[٤].

وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا البَاحِثُونَ كَثِيرًا مِنْ الصُّوَرِ النَّقْدِيَّةِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيّ الَّتِي تُثْبِتُ عِنَايَةَ العَرَبِ قَدِيمًا بِالسَّلَامَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالسَّعْي إِلَى تَقْوِيمِ لُغَةِ الشِّعْرِ بِمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَةِ الْأَرْبَعَةِ (الصَّوْتِيّ، الصَّرْفِيّ، النَّحْوِيّ، الدَّلَالِيّ)، وَمِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ النَّقْدِيَّةِ مَا ذَكَرَهُ (أَبُو مُحَمَّد الدَّيْنُورِي ت ٢٧٦ هـ) التِي يَظْهَرُ فِيهَا نَقْدُ طَرَفَة بْن الْعَبْد لِشِعْرِ الْمُتَلَمّسِ فِي قَوْلِهِ [٥]:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ اِحْتِضَارِهِ . . . بناجٍ عَلَيْهِ الصّيعَرِيَّة مَكْدَم .

وَمَوْطِنُ الضَّعْفِ الَّذِي وَقَفَ عَلَيْهِ طَرَفَة بْن العَبْد هُوَ اِسْتِعْمَال الشَّاعِرِ (الصّيعَرِيَّة) لِلْفَحْلِ، وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ النَّاقَةِ، وَمَا يُثْبِتُ صِحَّةَ النَّقْدِ قَوْل (اِبْنْ مَنْظُورْ ت٧١٠هـ) :" الصيْعَرِيّةُ: مِنْ سِماتِ النُّوق دُونَ الجِمال، وجَمَل مُنَوَّق: ذَلُول قَدْ أُحْسِنَت رِيَاضَتُهُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي ذُلِّلَ حتى صُيِّر كَالنَّاقَةِ، وَنَاقَةٌ منوَّقة: عُلِّمت المَشْيَ، والنَّوَّاق مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يُرَوِّضُ الأُمور وَيُصْلِحُهَا"[٦].

ثُمَّ تَطَوَّرَ النَّقْدُ اللُّغَوِيُّ فِي عَصْرِ صَدَرِ الْإِسْلَام؛ لِلْحِفَاظِ عَلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مِنْ اللَّحْنِ وَالتَّحْرِيفِ فِي الْأَلْفَاظِ مِنْ حَيْثُ النُّظُم وَالدَّلَالَة، فَكَانَ اللَّحْنُ فِي اللِّسَانِ عِنْد اَللُّغَوِيّين أَقْبَحَ مِنْ مَرَضِ الْجُدَرِيّ فِي اَلْوَجْهِ(٧).

وَكَانَ لِعُلَمَاء اللُّغَةِ الدَّوْرُ الْكَبِيرُ فِي وَضْعِ قَوَاعِد النَّقْدِ اللُّغَوِيّ، فَنَجَدهم يُقوّمُونَ مَا يَقُولُهُ اَلشُّعَرَاءُ لَاسِيَّمَا فِي اَلْمُسْتَوَى اَلدَّلَالِيّ، وَمِنْهُ نَقْد (اَلْمُبَرِّد ت ٢٨٥هـ) لِلشَّاعِرِ الحِمْيَرِيّ فِي قَوْلِهِ (٨):

وَلَوْ قَنعتُ أَتَانِي اَلرِّزْقُ فِي دَعَةٍ . . . إنَّ القنوعَ الْغنى لَا كَثْرَةَ اَلمَالِ.

وَالَّذِي يَرَى فِيهِ أَنَّ اِسْتِعْمَالَ الْقَنَاعَةِ فِي هَذَا اَلْبَيْتِ لَا يُشِيرُ إِلَى الدَّلَالَةِ اَلمَطْلُوبَةِ؛ لِأَنَّ اَلْقَنَاعَةَ هِيَ لِلسُّؤَالِ وَهَذَا مَا أَثْبَتَهُ اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَكُلُواْ مِنهَا وَأَطعِمُواْ ٱلقَانِعَ وَٱلمُعتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرنَٰهَا لَكُم لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾(٩).

وَتَسْتَمِرُّ خُطُوَاتُ النَّقْدِ اللُّغَوِيّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ؛ لِتَنْقِيَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ مِنْ الشَّوَائِبِ التِي أَصَابَتْهَا، وَالِانْحِرَاف الذِي تَعَرَّضَتْ لَهُ أَلْفَاظُهَا؛ بِسَبَبِ اللَّهَجَاتِ الَّتِي شَاعَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَهِيَ تَمْزُجُ بَيْنَ الدَّخِيل، وَالْأَعْجَمِيّ؛ لِذَلِكَ كَثُرَتْ الْمُؤَلَّفَاتُ النَّقْدِيَّةُ الَّتِي هَدَفُهَا الْحِفَاظ عَلَى لُغَةِ اَلْقُرْآنِ(١٠).

المَسَائِل النَّقْدِيَّة:

مَسْأَلَة التَّرَادُفِ:

هِيَ مِنْ المَسَائِل الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي عُنِيَ بِهَا العُلَمَاءُ وَالْبَاحِثُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فَمِنْهُمْ مِنْ رَفَضَهَا ، وَذَكَرَ أَسْبَابَ الرَّفْضِ، وَمِنْهُم مِنْ أَثْبَتَ وُجُودَهَا وَجَاءَ بِأَدِلَّةٍ تُثْبِتُ ذَلِكَ، وَالتَّرَادُفُ: "هُوَ عِبَارَة عَنْ الِاتِّحَادِ فِي المَفْهُومِ وَقِيلَ هُوَ تَوَالِي الْأَلْفَاظِ المُفْرَدَةِ الدَّالَّةِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِاعْتِبَارٍ وَاحِدٍ "(١١)، وَعَرَّفَهُ (فَخْرُ الدِّين ت٦٠٦هـ) بأَنَّه: "الْأَلْفَاظ المُفْرَدَة الدَّالَّة عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِاعْتِبَارٍ وَاحِدٍ، وَقَالَ : اِحْتَرَزْنَا بِالْإِفْرَادِ عَنْ الِاسْمِ وَالْحَدِّ فَلَيْسَا مُتَرَادِفَيْنِ، وَبِوَحْدَةِ الِاعْتِبَارِ عَنْ الْمُتَبَايِنِينَ كَالسَّيْفِ، وَالصَّارِمَ فَإِنَّهُمَا دَلَّا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ لَكِن بِاعْتِبَارَيْنِ أَحَدهُمَا عَلَى الذَّاتِ وَالْآخَر عَلَى الصِّفَةِ، وَالفرقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْكِيدِ أَنَّ أَحَدَ

الْمُتَرَادِفَيْنِ يُفِيدُ مَا أَفَادَهُ الْآخَر ، كَالْإِنْسَانِ وَالْبَشَر، وَفِي التَّوْكِيدِ يُفِيدُ الثَّانِي تَقْوِيَةَ الْأَوَّلِ، وَالْفرقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّابِعِ، إِنَّ التَّابِعَ وَحْدهُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا كَقَوْلِنَا : عَطْشَان وَنَشطَانِ"[١٢].

وَالتَّـرَادُفُ عِنْـد الغَـرْبِيّينَ: " هُـوَ الكَلِمَتَـانِ اللَّتَـانِ تَقْـبَلَانِ التَّبَـادُلَ فِيمَـا بَيْنَهُمَـا وَذَلِـكَ فِـي كُـلّ السِّيَاقَاتِ أَوْ الِاسْتِعْمَالَاتِ، وَلَيْسَ فِي تَعْبِيرٍ أَوْ اِسْتِعْمَالٍ دُونَ تَعْبِيرٍ أَوْ اِسْتِعْمَالٍ آخَر "[١٣].

وَمِـنْ الشَّـوَاهِدِ الَّتِـي جَـاءَتْ فِـي الْمَعَـارِكِ الْأَدَبِيَّـةِ وَالَّتِـي تَتَضَـمَّنُ نَقْـدًا دَلَالِيًّـا لَا سِـيَّمَا ظَـاهِرَةُ التَّـرَادُفِ مَـا ذَكَـرَهُ الزَّهَـاوِي فِـي مَجْمُوعَـةٍ مِـنْ الْأَبْيَـاتِ الشِّـعْرِيَّةِ الَّتِـي اِنْتَقَـدَها، مِنْهَـا قَـوْل الرُّصَافِي[١٤]:

أَ فِيدرِي خَلِيجُ فَارِس مَاذَا فَمُهُ مِنْكَ بَالِعٌ بِازْدِرَادِ .

يَرَى الزَّهَاوِيُّ أَنَّ اللَّفْظَيْنِ (البَلْع ، وَالِازْدِرَاد) مُتَرَادِفَانِ وَيُشِيرَانِ إِلَى مَفْهُومٍ وَاحِدٍ هُوَ الْبَلْع ، وَيَعْنِي أَنَّ الرّصَافِي يُكَرِّرُ اللَّفْظَ نَفْسَهُ ، وَيَعُدُّ هَذَا الِاسْتِعْمَال مِنْ الْأَغْلَاطِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تُثْبِتُ ضَعْفَ الْمُعْجَمِ اللُّغَوِيّ عِنْد الرُّصَافِي [١٥]، وَلَا نَتَّفِقُ مَعَ الزَّهَاوِي فِي نَقْدِهِ هَذَا، وَإِنْ كَانَ (الْبَلْعُ) هُوَ الِازْدِرَادُ فِي أَكْثَرِ الْمُعْجَمَاتِ[١٦]؛ لِأَنَّ سِيَاقَ بَيْتِ الرُصَافِي يُشِيرُ إِلَى دَلَالَةٍ وَاضِحَةٍ جَعَلَتْهُ يَجْمَعُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ، وَهِيَ أَنَّ الْبَلْعَ جَاءَ بِسُرْعَةٍ وَلِينٍ وانحدارٍ[١٧] ، فَالرُّصَافِيّ لَمْ يُكَرِّرْ البَلْعَ وَإِنَّمَا وَصَفَهُ بِالِازْدِرَادِ، وَهَذَا يُعَدُّ مِنْ الْمَزَايَا الْجَمَالِيَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى الِانْسِجَامِ الدَّلَالِيّ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ هَذَا اللَّفْظِ هُوَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٨]، وَهُنَا يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الِازْدِرَادَ هُوَ صِفَةٌ لِلْبَلْعِ، وَهَذَا مَا أَثْبَتَهُ كَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّ الْمُتَرَادِفَات صِفَاتٌ لِلِاسْمِ الْوَاحِدِ ، وَمِنْهُم أَبُو عَلِي الْفَارِسِيّ الَّذِي أَسْقَطَ أَسْمَاءَ السَّيْفِ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَهُ اِسْمًا وَاحِدًا وَالْبَاقِي صِفَات لَهُ [١٩] .

وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ الَّذِي نَقَدَهُ الزَّهَاوِي جَاءَ عِنْدَ كِبَارِ الشُّعَرَاءِ، مِنْهُمْ الْبُحْتري الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ مَجْمُوعَةِ أَلْفَاظٍ تَنْتَمِي إِلَى حَقْلٍ دَلَالِيّ وَاحِدٍ، وَتَرْبُطُهَا خُيُوطٌ دَلَالِيَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ [٢٠] :

فَمَجدلٌ ومرملٌ وموسدٌ ... ومضرجٌ ومضمخٌ ومخضبٌ.

وَهَذَا الجَمْعُ يُحْسَبُ لِلشَّاعِرِ، وَلَا يُعَدُّ مِنْ الْأَغْلَاطِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يُحَقِّقُ الْفِكْرَةَ الْعَامَّةَ لِلنَّصِّ الشِّعْرِيِّ، فَالْمُضَرَّجُ يُشِير إِلَى الْأَحْمَرِ الْمشْرِقِ، وَالْمُضَمَّخُ يَقْصِدُ بِهِ غِلَظ الدَّمِ ، وَالْمُخَضَّبُ هُوَ الدَّمُ الَّذِي خَضَّبَهُ كَمَا تُخَضِّبهُ الْحِنَّاء؛ فَفِي كُلِّ مُصْطَلَحِ مَا لَيْسَ فِي الْآخَرِ، وَإِنْ كَانَتْ الْحُمْرَةُ قَدْ شَمِلَتْ الْجَمِيعَ [٢١]، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى دَلَالَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ جَاءَتْ مَسْبُوكَةً وَمُتَرَابِطَةً لِتُبَيّن غَرَضَهَا الدَّلَالِيّ ، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ الْجُرْجَانِي فِي قَوْلِهِ:" إِنَّ الْأَلْفَاظَ الْمُفْرَدَةَ الَّتِي هِيَ أَوْضَاعُ اللُّغَةِ، لَمْ تُوضَعْ لِتعْرفَ مَعَانِيهَا فِي أَنْفُسِهَا، وَلَكِنْ لِأَن يُضمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيعْرفُ فِيمَا بَيْنَهُمَا فَوَائِد، وَهَذَا عِلْمٌ شَرِيفٌ ، وَأَصْلٌ عَظِيمٌ "[٢٢].

وَلَما تَقَدّم نَرَى أَنَّ الرُّصَافِي لَمْ يَخْرُجْ عَنْ الْعُرْفِ اللُّغَوِيّ وَاسْتِعْمَالِ الشُّعَرَاءِ، فَقَدْ اِسْتَعْمَلَ اَلْأَلْفَاظَ اَلْمُتَرَادِفَةَ الَّتِي تُعدُّ ثَرْوَة لُغَوِيَّة تُسَاعِدُ الشَّاعِرَ عَلَى تَأْدِيَةِ غرضه بِأَفْضَلِ صِيَاغَةٍ وَتَصْوِيرٍ وَهَذَا مَا جَاءَ عِنْد اَلْبَلَاغِيّينَ: " وَمَعْلُوم أَنَّ سَبِيلَ اَلْكَلَامِ سَبِيلَ التَّصْوِيرِ وَالصِّيَاغَةِ، وَأَنَّ سَبِيلَ الْمَعْنَى الَّذِي يُعَبِّرُ عَنْهُ سَبِيلِ الشَّيْءِ الَّذِي يَقَعُ التَّصْوِيرُ وَالصَّوْغُ فِيهِ ، كَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ يُصَاغُ مِنْهُمَا خَاتَمٌ أَوْ سُوَارٌ، فَكَمَا أَنَّ مُحَالاً إِذَا أَنْتَ أَرَدْتَ النَّظَر فِي صَوْغِ اَلْخَاتَمِ ، وَفِي جَوْدَةِ الْعَمَلِ وَرَدَاءَتِهِ ، أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْفِضَّةِ الْحَامِلَةِ تِلْكَ اَلصُّورَةِ ، أَوْ الذَّهَبِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ اَلْعَمَل، وَتِلْكَ اَلصَّنْعَةُ كَذَلِكَ مَحَال إِذَا أَرَدْت أَنْ تَعْرِفَ مَكَانَ الْفَضْلِ وَالْمَزِيَّةِ فِي اَلْكَلَامِ ، أَنْ تَنْظُرَ فِي مُجَرَّدِ مَعْنَاهُ وَكَمَا إِنَّا لَوْ فَضَّلْنَا خَاتَمًا عَلَى خَاتَمٍ، بِأَنْ تكُون فِضَّة هَذِهِ أَجْوَد ، أَوْ فَصّه أَنْفُس ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَفْضِيلاً لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ خَاتَمٌ كَذَلِكَ يَنْبَغِي إِذَا فَضَّلْنَا بَيْتًا عَلَى بَيْتٍ مِنْ أَجْلِ مَعْنَاهُ، أَنْ لَا يَكُون ذَلِكَ تَفْضِيلاً لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ شِعْرٌ وَكَلَامٌ، وَهَذَا قَاطِعٌ ، فَاعْرفهُ "[٢٣] .

أَمَّا نَقْدُ الزَّهَاوِي؛ فَيَرْجِعُ إِلَى إِيمَانِهِ التَّامّ بِظَاهِرَةِ التَّرَادُفِ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَعْمَلَةِ الَّتِي تَبْدُو وَاحِدَةً عِنْدَهُ وَيُمْحِي الْفُرُوقَ الدَّلَالِيَّةَ بَيْنَهَا، وَكَذَلِكَ عِنَايَتُهُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، فَالْمَعْنَى هُوَ الجَسَدُ وَاللَّفْظُ هُوَ اللِّبَاسُ لِذَلِكَ اَلْجَسَدِ[٢٤].

وَيَسْتَمِرُّ الزَّهَاوِيُّ فِي نَقْدِهِ لِشِعْرِ الرُّصَافِي وَالْبَحْثِ عَنْ الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ وَيَنْتَقِلُ إِلَى قَوْلٍ آخَرَ[٢٥]:

فَاجرِ يَا مَاءَ إِنْ جَرَيْتَ رُوَيْدًا بِأَنَاة وَمُهْلَةٍ وَاتَّئَادِ .

يَرَى الزَّهَاوِيُّ أَنَّ التَّرَادُفَ وَاضِحٌ فِي بَيْتِ الشَّاعِرِ بَيْنَ اَلْأَلْفَاظِ :(رُوَيْدًا، وَأَنَاة، وَمُهْلَة، وَاتَّئَاد) وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى الْمَعْنَى نَفْسِهُ، وَجَمْعُهَا هُوَ السَّبَبُ فِي نَقْدِهِ لِبَيْتِ الرُّصَافِي[٢٦].

وَهَذِهِ الْأَلْفَاظ الَّتِي شَخَّصَهَا النَّاقِدُ هِيَ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَجَاءَتْ فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾[٢٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى هُوَ الدَّلِيلُ وَالْحُجَّةُ عَلَى فَصَاحَةِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، فَالْأُسْلُوبُ الْقُرْآنِيُّ هُوَ أَبْلَغَ الْأَسَالِيب وَأَفْصَحُهَا، وَهُوَ نَصٌّ مُقَدَّسٌ لَا يَجُوزُ الِاعْتِرَاضُ عَلَيْهِ، فَضْلاً عَنْ الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَنَّ (الْمُهْلَةَ) لَهَا مَعَانٍ عِدَّةٌ هِيَ السَّكِيْنَةُ والوَقَار، والرِفْق، وأمْهَلْته تعني أنْظَرْتَه، ومَهَّلْتُه، أجَّلْتَه[٢٨]، وَاللَّفْظُ (رُوَيْدًا) يُشِير إِلَى الْقِلَّةِ وَالْمُهْلَةِ [٢٩]، و(الْأَنَاةُ) تُشِيرُ إِلَى مَعَانٍ تُقَارِبُ الْمَعَانِي السَّابِقَة وَهِيَ التَّأْخِير والإِبْطَاء [٣٠]، وَكَذَلِكَ (الْاتِّئَادْ) تَرْبُطُهُ خُيُوطٌ دَلَالِيَّةٌ مَعَ الْأَلْفَاظِ السَّابِقَةِ فَهو يُشِيرُ إِلَى التَّمَهُّلِ، وَالتَّأَنِّي [٣١]، وَلَكِنَّ التَّرَادُفَ التَّامَّ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ نَادِرٌ جِدًّا، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ الْبَاحِثِينَ مِنْهُم رَمَضَان عَبْد اَلتَّوَّاب فِي قوله : " الْمُتَرَادِفَات هِيَ أَلْفَاظٌ مُتَّحِدَةُ الْمَعْنَى، وَقَابِلَةٌ لِلتَّبَادل فِيمَا بَيْنَهَا فِي أَيّ سِيَاقٍ، وَالتَّرَادُفُ التَّامُّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ اِسْتِحَالَتِهِ نَادِرُ الْوُقُوعِ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ، فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ الْكَمَالِيَّاتِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ اللُّغَةُ أَنْ تَجُودَ بِهَا فِي سُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، فَإِذَا وَقَعَ التَّرَادُفُ التَّامُّ، فَالْعَادَةُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ وَمَحْدُودَةٍ "[٣٢]، وَهَذَا الْقَوْلُ يُثْبِتُ لَنَا أَنَّ التَّرَادُفَ التَّامَّ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ نَادِرٌ جِدًّا وَلَا يَتَحَقَّقُ فِي السِّيَاقِ اللُّغَوِيّ وَإِنْ كَانَتْ الْأَلْفَاظُ تَنْتَمِي إِلَى حَقْلٍ دَلَالِيٍّ وَاحِدٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ نُعِدَّهَا مُتَرَادِفَةً.

وَمِنْ الْأَلْفَاظِ الَّتِي نَقَدَهَا الزَّهَاوِي مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ[٣٣]:

نَجِيبَةٌ أَقْصَرِي عنّيَ فَإِنّي كَفَانِي مِنْ لَظَى النَّدَمِ اللَّهِيبِ.

يَرَى الزَّهَاوِيُّ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذَا الْبَيْت قِرَاءَةً نَقْدِيَّةً أَنَّ اللَّهِيبَ هُوَ اَللَّظَى، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ فِي بَيْتِهِ اللَّظَى، اللَّظَى[٣٤]، وَهُنَا يَرَى الْبَاحِثُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظ الَّتِي شَخَّصَهَا الزَّهَاوِي تَنْتَمِي إِلَى حَقْلٍ دَلَالِيٍّ وَاحِدٍ، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الرَّئِيسُ الَّذِي جَعَلَ النَّاقِدُ يَرَى فِيهَا التَّرَادُفَ التَّامَّ، وَعِنْدَمَا نَبْحَثُ عَنْ دِقَّةِ الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ، وَالسِّيَاقِيَّة لَا نَجِدُ التَّرَادُفَ التَّامَّ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الَّذِي يَجْعَلُهَا قَابِلَةً لِلتَّبَادُلِ فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ وَاحِدٍ، وَهَذَا يَعْنِي وُجُود فُرُوقٍ لُغَوِيَّةٍ دَقِيقَةٍ بَيْنَهُمَا لَا يُمَيِّزُهَا إِلَّا الْمُخْتَصُّ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ هِيَ أَلْفَاظٌ قُرْآنِيَّةٌ جَاءَتْ فِي سِيَاقَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ﴾[٣٥]، وقوله تعالى :﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنْ اللَّهَبِ﴾[٣٧] .

وَبِذَلِكَ نَجِدُ اللَّهَبَ جَاءَ فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ يَخْتَلِفُ عَنْ السِّيَاقِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ اللَّظَى، وَكُلّ لَفْظَةٍ تَدلُّ عَلَى دلالة تختلف عَنْ الثَّانِيَةِ ، وَالدَّلَالَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ لِلَّهَبِ هِيَ اِرْتِفَاعُ لِسَانِ اَلنَّارِ، وَتُشِيرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ اِرْتَفَعَ ضَوؤه ، وَلَمَعَ لَمَعَانًا شَدِيدًا [٣٨]، كَقَوْل الشَّاعِرِ [٣٩]:

رَأَيْتُ مَهَابَةَ وَلُيُوثَ غَابٍ وَتَاج الْملِكِ يَلْتَهِبُ اِلْتِهَابًا.

وَاللَّظَى : اَلنَّارُ ، وَيُشِيرُ إِلَى اللَّهَبِ الْخَالِصِ، وَيَدلُّ عَلَى اِسْمِ جَهَنَّمَ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ النِّيرَانِ ، وَقَدْ يعْنِي التَّوَهُّجَ، وَمِنْهُم مَنْ جَعَله يدلُّ عَلَى شِدَّةِ الْحَرّ [٤٠]، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ [٤١]:

وَحَتَّى أَتَى يَوْمٌ يَكَادُ مِنْ اللَّظَى تَرَى التُّومَ فِي أَفحُوصَه يَتصَّيحُ.

وَهُنَا يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ النَّاقِدَ يَعْتَمِدُ فِي نَقْدِهِ عَلَى الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ فَقَط، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْقَرَائِنِ الَّتِي تُغَيِّرُ الدَّلَالَةَ لَا سِيَّمَا الْقَرَائِنُ السِّيَاقِيَّة وَهِيَ مِنْ أَهَمّ الْقَرَائِنِ، الَّتِي تُلْبِسُ اللَّفْظَ دَلَالَاتٍ عِدَّةً ، وَتُبيّن عَلَاقَةَ اللَّفْظِ بِالْأَلْفَاظِ الْأُخَر فِي نَسَقِ الْكَلَامِ، وَهِيَ الَّتِي تُخَصِّصُ الْعَامَ، وَتُقْيِدُ الْمُطْلَقَ ، وَتُسَاعِدُ عَلَى مَعْرِفَةِ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، وَلَا يَجُوزُ إِهْمَالُهَا [٤٢]، وهذا ما أكده علماء الدلالة منهم جون لايز الذي يقول:" أعطني السِّياق الذي فيه الكلمة أُعطِك معناها"[٤٣].

وَنَجِدُ فِي الْمَعَارِكِ الْأَدَبِيَّةِ نَصِيبًا لِشِعْرِ أَحْمَد شَوْقِي، فَقَد قَرَأَهُ الزَّهَاوِي قِرَاءَةً نَقْدِيَّةً، وَبَحَثَ عَنْ الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ لِيُعِدَّهَا سَبَبًا لِنَقْدِهِ وَضَعْفًا لِمُعْجَمِ الشَّاعِرِ اللُّغَوِيِّ وَمِنْهَا قَوْلُهُ[٤٤]:

وَجِبَالاً مَوَائْجَا فِي جِبَالٍ تَتَدْجِى كَأَنَّهَا الظَّلْمَاءُ.

وَهُنَا يَرَى الزَّهَاوِي أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الدُّجَى وَالظَّلْمَاء يُشِيرُ إلى تَكْرَار اللَّفْظِ نَفْسِهِ وَلَا يُعْطِي دَلَالَةً جَدِيدَةً[٤٥]، وَلَا يَتَّفِقُ الْبَاحِثُ مَعَ الزَّهَاوِي فِي نَقْدِهِ؛ لِأَنَّ الدُّجَى يُشِيرُ إِلَى سَوَادِ اللَّيْلِ مَعَ غَيْمٍ لَا نَرَى فِيهِ نَجْمًا وَلَا قَمَرًا، وَلَيْسَ الدُّجَى مِنْ الظُّلْمَةِ؛ لِذَلِكَ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ وَهَذَا مَا وَجَدتُهُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ الشُّعَرَاءِ، مِنْهُم بَشَر بْن أَبِي حَزْم فِي قَوْلِهِ [٤٦] :

أَسِحٌّ بها إذا الظلماء ألقت مَراسِيها وأردفها دُجاها

وقول الراجز[٤٧]: يَجْلُو بعَيْنَيْهِ دُجَى الظُّلُماتِ

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ تُثْبِتُ الفرَقَ الدَّلَالِيّ بَيْنَ الدُّجَى وَالظَّلَامِ، وَتُجِيزُ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَجْمَعَهُمَا فِي سِيَاقٍ لُغَوِيٍّ وَاحِدٍ،(فَالدُّجَى) يَتَضَمَّن عُنْصُرًا دَلَالِيًّا إِضَافِيًّا عَلَى(الظَّلَامِ)، وَفِي (الظَّلَامِ) عُنْصُرٌ دَلَالِيّ إِضَافِيٌّ عَلَى(الدُّجَى)، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ اللَّفْظَيْن مُتَّحِدَان فِي الْمَاهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمَا يَنْتَمِيَانِ إِلَى حَقْلٍ دَلَالِيٍّ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ فِي بَعْضِ اَلْعَنَاصِرِ اَلدَّلَالِيَّةِ، وَيَرِدُ كُلُّ لفظٍ مِنْهُمَا فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ، لِيُعَبِّر عَنْ دَلَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ .

وَنَخْتِمُ ظَاهِرَةَ اَلتَّرَادُفِ بِقَوْلِ اَلْعَقَّاد[٤٨]:

كَأْسُ الْحَيَاةِ اَعْلِينِي عَلَى ظَمَأ وَبَلِّي بَالَحْمَا طِين صَلْصَالٍ .

يَرَى الزَّهَاوِي أَنَّ اللَّفْظَيْن – الطِّين ، وَالصَّلْصَال – مُتَرَادِفَانِ تَمَامًا وَلَا يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا[٤٩]، وَاللَّفْظَانِ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعٍ عِدَّةٍ مِنْهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حمآ مَسْنُونٍ ﴾[٥٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حمأ مَسْنُونٍ ﴾[٥١]، وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾[٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾[٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾[٥٥] .

وَالَّـذِي يَقْـرَأُ هَـذِهِ الْآيَـاتِ قَـد يَحْكُـمُ بِتَـرَادُفِ الطِّـينِ وَالصَّلْصَـالِ، وَهَـذَا مَـا يُشِـيرُ إِلَيْـهِ ظَـاهِرُ اَلْآيَـاتِ وَلَكِـنَّ دَلَالَـةَ الطِّـينِ تَخْتَلِـفُ عَـنْ دَلَالَـةِ الصَّلْصَـالِ، وَالَّـذِي يُؤَكِّـدُ الْفَـرْق بَيْنَهُمَـا الْمَعْنَـى الْمُعْجَمِـيُّ ، فَالصَّلْصَـالُ هُـوَ نَـوْعٌ مِـنْ اَلطِّـينِ، وَلَـيْسَ الطِّـينَ بِعَيْنِـهِ، وَقِيـلَ هُـوَ طِـينٌ حُـرٌّ خُلِـطَ بِرَمْـلٍ فَصَـارَ صَلْصَـالاً كَالْفَخَّـارِ، وَقِيـلَ الصَّلْصَـالُ هُـوَ اَلْحَمَـأ الْمسـنُونَ[٥٦]، وَقِيـلَ الصَّلْصَـال الْمَاء الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ فَتَنْشَقُّ فَيَجِفّ فَيَصِير لَهُ صَوْتٌ[٥٧].

وَبِـذَلِكَ يَتَبَـيَّنُ لَنَـا أَنَّ دَلَالَـةَ الصَّلْصَـالِ تَخْتَلِـفُ عَـنْ دَلَالَـةِ الطِّـينِ، فَالشَّـاعِرُ عِنْـدَمَا قَـالَ : وَبَلَلِـي بَالَحْمَـا طِـين صَلْصَـال لَا يَقْصِـدُ التَّـرَادُف، وَإِنَّمَـا ذَكَـرَ مَعْنَـى الصَّلْصَـالِ الصَّـحِيحِ، الَّـذِي هُـوَ جُزْءٌ مِنْ الطِّينِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِيَّةِ الشَّاعِرِ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ .

وَبَعْدُ كُلّ مَا تَقَدَّم مُمْكِن أَنْ نَقُولَ : إِنَّ الزَّهَاوِي فِي نَقْدِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي نَقْدهَا هِيَ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْأُسْلُوبُ الَّذِي نَقَدَهُ هُوَ أُسْلُوبٌ قُرْآنِيٌّ، فَقَدْ اِعْتَمَدَ فِي نَقْدِهِ عَلَى الشَّائِعِ من هَذِهِ اَلْأَلْفَاظِ ، وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيّ الْفَصِيحِ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْأَلْفَاظِ بِنَظْرَةِ التَّرَادُفِ التَّامّ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ هَذَا النَّقْد فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْأُسْلُوبَ الْقُرْآنِيَّ هُوَ مِعْيَارٌ أَسَاسِيٌّ، فَضْلاً عَنْ أَنَّ الِاسْتِعْمَالَ الْفَصِيحَ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّذِي جَاءَ فِي الْمُعْجَمَاتِ يَنْفِي التَّرَادُف التَّامّ بَيْنَهَا، كَمَا يَتَّضِحُ لَنَا تَأَثُّرُ اَلزَّهَاوِي بِمَنْ قَالَ بِالتَّرَادُفِ وَهُي مَسْأَلَةٌ خِلَافِيَّةٌ رَفَضَهَا كثيرٌ من العلماءِ لَا سِيَّمَا التَّرَادُفُ التَّامُّ فَقَدَ نَقَلَ لَنَا أَبُو الْعَبَّاس عَنْ اِبْن اَلْأَعْرَابِي قَوْلَهُ : "كُلُّ حَرْفَيْنِ أَوْقَعَتْهُمَا الْعَرَبُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ؛ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًى لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ، رُبَّمَا عَرَفْنَاهُ فَأَخْبَرَنَا بِهِ، وَرُبَّمَا غَمُضَ عَلَيْنَا فَلَمْ نَلْزَمْ الْعَرَبَ جَهْلَهُ "[٥٨]، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ثَعْلَب قَوْلَهُ:" إِنَّ كُلَّ مَا يَظُنُّ مِنْ الْمُتَرَادِفَاتِ فَهُوَ مِنْ الْمُتَبَايِنَاتِ الَّتِي تَتَبَايَنُ بِالصِّفَاتِ، كَمَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْبَشَرِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ مَوْضُوعَ لَهُ بِاعْتِبَارِ النِّسْيَانِ، أَوْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يُؤْنِسُ وَالثَّانِي بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ بَادِي الْبَشَرَةِ وَكَذَا اَلْخَنْدَرِيس وَالْعَقَّار فَإِنَّ اَلْأَوَّل بِاعْتِبَارِ الْعِتْقِ، والثَّانِي بِاعْتِبَارِ عُقْرِ الْدِن لِشِدَّتِهَا، وَتَكَلُّف لِأَكْثَرِ اَلْمُتَرَادِفَاتِ بِمِثْلِ هَذَا اَلْمَقَالِ اَلْعَجِيبِ "[٥٩]، وَمَا جَاءَ عِنْدَ ثَعْلَب يُثْبِتُ

لِلْبَاحِثِ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الَّتِي وَصَفَهَا النَّاقِدُ هِيَ مِنْ الْمُتَبَايِنَاتِ وَلَيْسَ مِنْ التَّرَادُفِ اَلتَّامِّ ، وَهُنَا لَا يُرِيدُ اَلْبَاحِثُ أَنْ يُقَلِّلَ مِنْ شَأْنِ اَلزَّهَاوِي ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ضَرُورَاتِ اَلْبَحْثِ اَلْعِلْمِيِّ الَّتِي نَرْجِعُ بِهَا إِلَى الْمَصَادِرِ اللُّغَوِيَّةِ وَالشَّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ .

الألفاظ الغريبة والمهجورة في الشعر:

تُعَدُّ الْأَلْفَاظُ الْغَرِيبَةُ مِنْ الظَّوَاهِرِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا أَكْثَر اَللُّغَاتِ لَا سِيَّمَا اَللُّغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ، فَقَد دَخَلَتْ فِي اللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ مُنْذُ اَلْعُصُورِ اَلْقَدِيمَةِ مِئَاتِ اَلْأَلْفَاظِ مِنْ لُغَاتِ شَتَّى، وَاسْتَعْمَلَهَا الْعَرَبُ وَجَاءَتْ فِي كَلَامِ الْفُصَحَاءِ وَالشُّعَرَاءِ فِي أَشْعَارِهِم [٦٠]، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ دَأَبَ الْعَرَب، فَقَد كَانَتْ بَعْضُ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَحْتَاجُونَهَا مِنْ اللُّغَاتِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَلْبَسُوهَا مِنْ رُوحِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَسْتَعْملها الشُّعَرَاءُ فِي أَشْعَارِهِمْ وَأَرْجَازِهَمْ [٦١]، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ ذَهَبَ بَعْضُ نَقَدة الِاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ إِلَى نَقْدِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ الْأَلْفَاظَ الْغَرِيبَةَ؛ بِحجّةِ أَنَّهَا لَمْ تَرِدْ عَنْ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ وَهَذَا مَا جَاءَ عِنْد الزَّهَاوِي فِي نَقْدِهِ لِلشُّعَرَاءِ لَاسِيَّمَا الرُّصَافِي فِي قَوْلِهِ[٦٢]:

وَقَفَتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقْفَةَ عَاشِقٍ عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دَارِس الطَّلَلِ القفْرِ.

يَرَى الزَّهَاوِي أَنَّ القَفْرَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الغَرِيبَةِ الَّتِي لَمْ تَرِدْ فِي اللُّغَةِ، وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ يُعدُّ مِنْ الْأَغْلَاطِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي شَخَّصَهَا النَّاقِدُ[٦٣]،وَلَمْ يُثْبِتْ لَنَا الزَّهَاوِي هَذِهِ اَلْغُرْبَة الَّتِي يَرَاهَا فِي هَذَا اَللَّفْظِ، فَقَدْ جَاءَ فِي أَغْلَبِ اَلْمُعْجَمَاتِ، وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ (الرَّازِي ت ٦٥٦ هـ) فِي مُخْتَارِهِ أَنَّ الْقَفْرَ هو المَفَازَةُ التي لَا تحتوي على نَبَاتٍ وَلَا مَاءٍ، وَجمعه (قِفَارٌ)، ويُقَالُ: أَرْضٌ قَفْرٌ، وَالْقَفَارُ هو الْخُبْزُ الذي بِلَا أُدْمٍ، يُقَالُ: أَكَلتُ خُبْزًا قَفَارًا، وَأَقْفَرَتِ الدَّارُ، وَأَقْفَرَ الرَّجُلُ؛ أي لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ أُدْمٌ وَجَاءَ هَذَا اللَّفْظ فِي الشِّعْرِ فِي مَوَاضِع كَثِيرَةٍ مِنْهَا قَوْل ذِي الرُّمَّةِ [٦٤]:

تَخُط القفر امرأ القيس إنَّهُ سواءٌ على الضيف امرؤ القيس والقَفرُ.

وَتَأْتِي الْقَفْرُ بِمَعْنَى التَّفَرُّدِ كَقَوْلِ عُبَيْد بْن الْأَبْرَص [٦٥]:

أقفَرَ من أهلهِ عُبيد فاليوم لا يُبدي ولا يُعيدُ.

وَجَاءَ اَللَّفْظُ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ [٦٦]:

تَفلي له الريحُ ولمّا يَقمُلِ لمّةَ قَفرٍ كشعاع السُنبلِ.

وَمَا جَاءَ فِي الْمُعْجَمَاتِ وَأَقْوالِ الشُّعَرَاء يُنْفِي صِفَةَ الْغَرَابَةِ عَنْ قَولِ الرُّصَافِي وَيُثْبِتُ اِسْتِعْمَالَ (الْقَفْرَ) فِي اللُّغَةِ وَالمُعْجَمِ الشِّعْرِيّ، وَهَذِهِ الشَّوَاهِد هِيَ ذَاكِرَةُ اللُّغَةِ وَمُعْجَمُهَا، وَهِيَ الدَّلِيلُ اللُّغَوِيُّ لِإِثْبَاتِ اللَّفْظِ، فَضْلاً عَنْ عَدَمِ اِتِّصَافِ اللَّفْظِ بِصِفَاتِ الْغَرَابَةِ وَمِنْهَا : اللَّفْظُ الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنًى بِعِيدًا وَغَامِضًا، وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بَعْد مُعَانَاةٍ ، وَيُعَدُّ مِنْ شَوَاذِّ قَبَائِلِ الْعَرَبِ [٦٧] .

وَمِن الْأَلْفَاظِ الَّتِي عَدَّهَا الزَّهَاوِي غَرِيبَةً وَمَهْجُورَةً (الْأَرْغَان)[٦٨] الَّذِي جَاءَ فِي قَولِ العَقَّادِ[٦٩]:

وَبَاتَ لِلْقَلبِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ إِلَى دَبِيبِ أَحْلَامه صَفْوَ أُرْغَان .

(الْأَرْغَان) مِنْ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْمُعْجَمَاتِ وَتُشِيرُ إِلَى الْإِصْغَاءِ، فَضْلاً عَنْ الشِّعْرِ الْعَرَبِيّ ، فَقَد اِسْتَعْمَلَهَا الشُّعَرَاءُ وَمِنْ الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ [٧٠]:

وأُخرى تُصفقها كلُّ ريحٍ سَريعٍ لدى الحورِ إرغانُها.

وَقَوْل الطِّرِمَّاح[٧١]: مُرغناتٌ لأخلج الشِّدقِ سِلعامٍ مُمَرّ مَفتُولة عَضدهُ.

وَمِنْهُم مِنْ عَدَّ الْأَرْغُوَانْ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْفَارِسِيَّةِ الْمُعَرَّبَةِ إِلَى الْأُرْجُوَانِ، وَهُوَ شَجَرٌ لَهُ وَرَدٌ ، وَيُطْلِقُ عَلَى الثِّيَابِ الْحُمْرِ [٧٢]، وَهُنَا لَا نَرَى أَيَّ غُرْبَةٍ ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ حَاجَةٌ وَاسْتِعْمَال، وَالشَّاعِرُ يَسْتَعْمِلُ الْأَلْفَاظَ الَّتِي

تُعَبِّرُ عَمَّا يَجُولُ فِي ذِهْنِهِ فَإِنْ لَمْ تُسْعِفْهُ الْأَلْفَاظُ اَلْمَوْجُودَةُ اِرْتَجَلَ وَابْتَكَرَ وَبَحَثَ فِي مُعْجَمِهِ اللُّغَوِيِّ لِيَسُدَّ حَاجَتَهُ اَللُّغَوِيَّةَ ، وَمَا يُحْسَبُ لِلشَّاعِرِ إِنَّهُ يُحْيِي الْأَلْفَاظَ اَلْمَهْجُورَةَ وَيُعِيدُ لَهَا الْحَيَاة وَيُحَافِظُ عَلَى اللُّغَةِ مِنْ الْمَوْتِ، وَاللُّغَةُ هِيَ لُغَةٌ حَيَّةٌ تَتَأَثَّرُ بِاللُّغَاتِ وَتُعْطِي وَتَأْخُذُ؛ وَشَبَّهَهَا اللُّغَوِيُّونَ الْمُحْدَثُونَ بِالْكَائِنِ اَلْحَيِّ فَهِيَ:" تَحْيَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِهَا، وَهُم مِنْ الْأَحْيَاءِ، وَهِيَ لِذَلِكَ تَتَطَوَّرُ وَتَتَغَيَّرُ بِفَضْلِ الزَّمَنِ، كَمَا يَتَطَوَّرُ الْكَائِنُ الْحَيُّ وَيَتَغَيَّرُ وَهِيَ تَخْضَعُ لِمَا يَخْضَعُ لَهُ اَلْكَائِنُ اَلْحَيُّ فِي نَشْأَتِهِ وَنُمُوّهُ وَتَطَوُّرِهِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ اِجْتِمَاعِيَّةٌ، تَحْيَا فِي أَحْضَانِ الْمُجْتَمَعِ ، وَتَسْتَمِدُّ كِيَانَهَا مِنْهُ، وَمِنْ عَادَاتِهِ وَتَقَالِيدِهِ، وَسُلُوك أَفْرَادِهِ، كَمَا أَنَّهَا تَتَطَوَّرُ بِتَطَوُّرِ هَذَا اَلْمُجْتَمَعِ، فَتَرْقَّى بَرْقِيه وَتَنْحَطُّ بِانْحِطَاطِهِ "[٧٣] .

وَيَنْتَقِلُ الزَّهَاوِي إِلَى قَوْلِ آخَرَ لِلْعَقَّادِ لِيَبْحَث عَنْ الْأَلْفَاظِ الغَرِيبَةِ وَالمَهْجُورَةِ[٧٤]:

دَرّ الدَّسَاتِين تَحْدُو وَهِيَ ضَارِبَةٌ مَنْ لَيْسَ تَحْدُوهُ أَشْوَاقٌ وَأَحْزَانٌ.

يَرَى الزَّهَاوِي أَنَّ اَلدَّسَاتِين لَفْظٌ لَا وُجُودَ لَهُ فِي اَلْمُعْجَمَاتِ[٧٥]، وَهُنَا لَا نَخْتَلِفُ مَعَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَيْهِ الزَّهَاوِي؛ فَالْدِسَاتِين لَا وُجُودَ لَهُ فِي اَلْمُعْجَمَاتِ إِلَّا عِنْد الزبَيْدِي [٧٦]، وَمَا وَجَدْنَاهُ هُوَ (الدُّسَتُ) وَبَعْضُهُم ذَكَرَهَا بـ (دَشَّتْ) وَيُشِيرُ هَذَا اللفظ إِلَى دَلَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَا الصَّحْرَاء، وَالثِّيَاب، وَالْوَرَق، وَصَدَرِ الْبَيْتِ، وَاسْتَعْمَلَهُ الْمُتَأَخِّرُونَ بِمَعْنَى الدِّيوَانِ، وَمَجْلِس الْوِزَارَةِ، وَالرِّئَاسَة[٧٧] وَجَاءَ هَذَا اللَّفْظ فِي قَوْلِ اَلْأَعْشَى [٧٨]:

قد عَلمت فارسٌ وَحميرُ والأ عرابُ بالدَّست أَيُّكم نزلا.

وَالثُّنَيَّان مِنْ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ وَالْمَهْجُورَةِ الَّتِي شَخّصَهَا الزَّهَاوِي فِي قَوْلِ الْعَقَّاد[٧٩]:

يَا لَيْلَةٌ حَطَّمَتْ أَنْوَارَ حَائِكَهَا فَلَا يُحَاكُ لَهَا فِي الدَّهْرِ ثِنْيَان .

يَرَى اِبْن مَنْظُور أَنَّ اَلثُّنَيَّان هُوَ دُون السَّيِّدَ فِي الْمَرْتَبَةِ وَذَكَرَ لَنَا قَوْلَ أَوْس بْن مَغْرَاء [٨٠]:

تَرَى ثِنانا إِذا مَا جَاءَ بَدْأَهُمُ، ... وبَدْؤُهُمْ إِن أَتانا كَانَ ثُنْيَانا.

وَنَخْتِمُ نَقْدَ الزَّهَاوِي بِقَوْلِ الْعَقَّاد الَّذِي شَخَّصَ فِيهِ لَفْظًا غَرِيبًا هُوَ (البوغاء)[٨١]:

لو كان يفرقنا بعد الطلاب لما كنا وكانوا سوى نجمٌ وبوغاء.

وَهَـذَا اللَّفْـظُ الَّـذِي نَقَـدَهُ الزَّهَـاوِي جَـاءَ عِنْـدَ الْخَلِيـلِ فِـي مُعْجَمِـهِ وَيَـرَى أَنَّ الْبَوْغَـاء هُـوَ التُّـرَابُ الْهَابِي فِي الْهَوَاءِ، وَيَحْمِلُ دَلَالَةً أُخْرَى هِيَ طَاشَة اَلنَّاس، وَحْمَقَاهم وَسَفْلَتهُم [٨٢]

وجاء في الشعر[٨٣]:

لَعمرُك لَولا هاشم ما تَعَفرت ببغدان في بوغائها القدَمان.

وَقِيلَ هُوَ اَلتُّرَابُ عَامَّةً أَوْ التُّرْبَة الرَّخْوَة الَّتِي كَأَنَّهَا ذُرَيْرَة، وَأَنْشَدَ اِبْنْ بِرِّيْ[٨٤]:

تَشُجُّ بها بوَغاء قُفٍ وتارةً تَسنُّ عليها تُربَ آملةٍ عُفرِ.

وَمِمَّـا تَقَـدَّمَ نَـرَى أَنَّ اَلزَّهَـاوِي يَسْـعَى فِـي نَقْـدِهِ إِلَـى الِابْتِعَـادِ عَـنْ الْأَلْفَـاظِ الْغَرِيبَـةِ وَالْمَهْجُـورَةِ وَيعِـدُّهَا مِـنْ الْأَغْـلَاطِ اللُّغَوِيَّـةِ الَّتِـي تُضْـعِفُ الْمُعْجَـمَ الشِّـعْرِيَّ ، وَمِعْيَـارُهُ الْأَسَاسِـيُّ فِـي صِـفَةِ الْغُرْبَـةِ هِـيَ اَلشُّـهْرَةُ وَالِاسْـتِعْمَالُ اَلْمَعْـرُوفُ، فَهُـوَ يَـرَى أَنَّ هَـذِهِ الْأَلْفَـاظ غَيْـرُ مُسْـتَعْمَلَة بِشُـهْرَةٍ ، وَنَقْدُهُ فِـي مَعَارِكِـهِ اَلْأَدَبِيَّـةِ يَخْتَلِـفُ مَـعَ مَـا جَـاءَ فِـي دِيوَانِـهِ فَهُـوَ يَـذْكُرُ فِـي مُقَدِّمَـةِ دِيوَانِـهِ:" لِلشَّـاعِرِ الْفَحْـلِ أَنْ يُوَلِّـدَ فِـي اللُّغَـةِ إِذَا مَسَّـتْ الْحَاجَـةُ كَلِمَـاتٍ لَـمْ يَـأْتِ بِهَـا مِـنْ جَـاءَ قَبْلَـهُ، فَتُغْنَـى بِـذَلِكَ اللُّغَـةُ، وَاللُّغَـةُ الَّتِـي لَا يَتَوَلَّـدُ فِيهَـا كُـلُّ سَـنَةٍ عَـدَدٍ مِـنْ الْكَلِمَـاتِ وَلَا يَمُـوتُ كَـذَلِكَ عَـدَد هِـيَ مِيتَـةٌ "[٨٥].

وَلَا يَتَّفِقُ الْبَاحِثُ مَعَ نَقْدِ الزَّهَاوِي؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى مَوْتِ أَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كَلَامِ اَلْعَرَبِ، وَنَقْدُهُ هَذَا يُشِيرُ إِلَى تَأَثُّرِهِ بِفَرِيقٍ مِنْ النُّقَّادِ مُمْكِن أَنْ نِصْفَهُم بِالْمُتَشَدِّدِينَ، وَمِنْهُمْ اِبْنِ فَارِسٍ (ت ٣٩٥هـ) في قوله:" وَلَيْسَ لَنَا الْيَوْمِ أَنْ نَخْتَرِعَ وَلَا أَنْ نَقُولَ غَيْر مَا قَالُوهُ وَلَا أَنْ نَقِيسَ قِيَاسًا لَمْ يَقِيسُوهُ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ فَسَادُ اللُّغَةِ وَبُطْلَانِ حَقَائِقِهَا "[٨٦] ، وَمَا يُثْبِتُ هَذَا اَلتَّأَثُّرِ مَا جَاءَ عِنْدَ الدُّكْتُورِ نِعْمَة رحَيّم الْعَزَّاوِي الَّذِي ذَكَرَ لَنَا أَنَّ عَدَدًا مِنْ النقاد تَأَثَّرُوا بِابْنِ فَارِس وَمِنْ أَيَّدَهُ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَهُ وَحَظَرُوا مُفْرَدَاتٍ كَثِيرَةً؛ لِأَنَّهَا أَلْفَاظٌ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ وَلَا وُجُودَ لَهَا فِي اَلْمُعْجَمَاتِ[٨٧]، مُقَابِل هَذَا اَلتَّأَثُّرِ نَجِدُ كَثِيرًا مِنْ اللُّغَوِيّينَ يَسْمَحُونَ بِإِدْخَالِ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ غَيْرِ الشَّائِعَةِ، مِنْهُم أَحْمَد مُخْتَار عُمَر فِي قَوْلِهِ:" اِعْتَمَدْنَا شُيُوع اَلِاسْتِعْمَالِ قِيَاسًا مُرَجّحًا لِلتَّصْحِيحِ، أَوْ التَّقْصِيحِ، أَو الْقَبُولِ، وَإِنْ كُنَّا قَدْ سَمَحْنَا بِإِدْخَالِ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ غَيْرِ الشَّائِعَةِ؛ بِقَصْدِ التَّرْوِيجِ لَهَا لِسَدِّهَا فَرَاغًا لَا تَسُدُّهُ كَلِمَةٌ أُخْرَى "[٨٨]، وَرَأَى بَاحِثُونَ آخَرُونَ أَنَّ هَذَا التَّشَدُّد فِي النَّقْدِ يَضُرُّ اللُّغَةَ وَيَحْرِمُهَا كَثِيرًا مِنْ الْأَلْفَاظِ ، وَيَجْعَلُهَا وَعِرَةً فِي نَظَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ [٨٩].

الخاتمة :

بَعْد الْقِرَاءَةِ النَّقْدِيَّةِ لِلنَّقْدِ الدَّلَالِيّ فِي الْمَعَارِكِ الْأَدَبِيَّةِ تَبَيَّنَ لَنَا:

- ❖ أَنَّ الزَّهَاوِي يَرَى تَرَادُفًا تَامًّا بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى حَقْلٍ دَلَالِيّ وَاحِدٍ وَتُشِيرُ إِلَى اَلمَعْنَى نَفْسِهِ؛ وَهَذَا الْحُكْمُ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ لَفْظٍ يَتَضَمَّنُ عُنْصُرًا دَلَالِيًّا إِضَافِيًّا لِلْمَعْنَى المُشْتَرَكِ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَلْفَاظِ اَلَّتِي تَرْتَبِطُ مَعَهُ بِخَيْطٍ دَلَالِيّ.
- ❖ أَنَّ الزَّهَاوِي فِي نَقْدِهِ يَعْتَمِدُ عَلَى شُيُوعِ الِاسْتِعْمَالِ فِي الْقَبُولِ وَالتَّفْصِيحَ، وَهَذَا مِعْيَارٌ اِعْتَمَدَهُ كَثِيرٌ مِنْ النُّقَّادِ، وَلَكِنَّهُم سَمَحُوا بِاسْتِعْمَالِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ غَيْرِ الشَّائِعَةِ؛ لِإِعَادَةِ الرُّوحِ لَهَا وَسَدِّ الْفَرَاغِ الَّذِي لَا تَسُدُّهُ كَلِمَةُ غَيْرِهَا.

- وَجَدْنَا عِنْدَ الزَّهَاوِي تَنَاقُضًا فِي نَقْدِهِ فَهُوَ يَرْفُضُ اِسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ وَالْمَهْجُورَةِ وَالْمُوَلَّدَةِ فِي اَلشِّعْرِ، وَنَجَدُهُ فِي دِيوَانِهِ يَصِفُ الشَّاعِرَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ اَلْغَرِيبَ وَيُوَلِّدُ الْأَلْفَاظَ بِالْفَحْلِ.
- لَمْ يَعْتَمِدْ الزَّهَاوِي عَلَى الْمُعْجَمَاتِ وَلَمْ يُعِدهَا مِعْيَارًا أَسَاسِيًّا لَا سِيَّمَا فِي مَسْأَلَةِ التَّرَادُفِ التَّامّ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ.
- إنَّ الْأَلْفَاظَ الَّتِي وَصَفَهَا النَّاقِدُ هِيَ مِنْ المُتَبَايِنَاتِ وَلَيْسَ مِنْ التَّرَادُفِ اَلتَّامّ، وهُنَا يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الزَّهَاوِي لَمْ يُمَيِّزْ بِنَقْدِهِ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ، وَالْأَلْفَاظ الْمُتَبَايِنَةُ .
- لَمْ يُعَضِّدْ الزَّهَاوِي نَقْدَهُ بِشَوَاهِد لُغَوِيَّةٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ؛ لِإِثْبَاتِ نَقْدِهِ.
- ابتَعَدَ الزَّهَاوِي عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ، وَلَمْ يَجْعَلْ الْأُسْلُوبَ اَلقُرْآنِيَّ هُوَ اَلمِعْيَار اَلْأَسَاسِيّ. وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي نَقدَهَا هِيَ أَلْفَاظٌ قُرْآنِيَّةٌ ، وَهَذَا الِابْتِعَادُ أَوْقَعَ النَّاقِد فِي لَبْسٍ وَأَبْعَدَهُ عَنْ الْحَقِيقِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ ، فَبَالَغَ فِي نَقْدِهِ مِنْ دُونِ حُجَّةٍ ، وَخَطَّأَ الشُّعَرَاءَ، مَعَ أَنَّ الِاسْتِعْمَالَ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالشِّعْرِ الْعَرَبِيّ.
- وَجَدْنَا التَّسَرُّعَ فِي الْحُكْمِ عِنْدَ النَّاقِدِ، وَهَذَا يُبْعِدُ النَّقْدَ عَنْ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ وَالْغَرَضِ اللُّغَوِيّ.
- وَخِتَامًا نَرَى أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ فِي غِمَارِ النَّقْدِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَسَلَّحَ بِسِلَاحٍ لُغَوِيّ مَتِينٍ، وَأَنْ يَعْتَمِدَ الْأُسْلُوبَ الْقُرْآنِيَّ فَهُوَ أَفْصَحُ الْأَسَالِيبَ وَأَبْلَغُهَا ، وَأَن لَا يَتَسَرَّعُ فِي الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِالْمُعْجَمَاتِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ وَاسِعَةٌ وَتَتَطَوَّرُ مَعَ تَطَوُّرِ الْمُجْتَمَعِ فَتَمُوتُ فِيهَا أَلْفَاظٌ وَتَحْيَا أَلْفَاظٌ ، وَقَبْل أَنْ يَحْكُمَ بِالصَّوَابِ وَالْخَطَأِ أَنْ يَرْجِعَ لِلْمُعْجَمَاتِ الْمَوْثُوق بِهَا، وَأَنْ يَحْمِلَ حِسًّا لُغَوِيًّا يَتَسَلَّحُ بِهِ لِتَحْلِيلِ اَلْخِطَابِ اَللُّغَوِيّ وَيَتَعَرَّفُ عَلَى اَلْخَطَأِ وَالصَّوَابِ.

الهوامش

(١) ينظر: النقد اللغوي في التراث العربي:١٥٤.

(٢) النقد الأدبي الحديث،: المقدمة.

(٣) ينظر: الأغاني: ٦/١١.

(٤) النقد الأدبي:٤١٦/٢.

(٥) الشعر والشعراء:١٨٠/١.

(٦) لسان العرب:٣٦٣/١٠.

(٧) ينظر:عيون الأخبار: ١٧٣/٢.

(٨) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ٣٧١.

(٩) الحجر:٣٦.

(١٠) ينظر: حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث:٣١٩، وتوجيه الخلاف في كتب التصحيح اللغوي في العراق في العصر الحديث:٧.

(١١) معجم التعريفات:٥٠.

(١٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٤٠٢/١.

(١٣) علم الدلالة ،كلود جرمان: ترجمة الدكتورة نور الهدى لوشن:٦١.

(١٤) ديوان الرصافي:٤٩.

(١٥) ينظر: الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية:١٦٨.

(١٦) ينظر: معجم العين : ٣٥٦/٧، مقاييس اللغة:٣٠١/١.

(١٧) ينظر: القاموس الفقهي: ١٥٨.

(١٨) هود:٤٤.

(١٩) ينظر: المزهر: ٤٠٥/١.

(٢٠) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري:٤٠٠/١.

(٢١) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري:٤٠٠/١.

(٢٢) دلائل الإعجاز:٣٥٣.

(٢٣) دلائل الإعجاز:٢٥٤-٢٥٥.

(٢٤) ينظر: الزهاوي وديوانه المفقود:١٨٨.

(٢٥) ديوان الرصافي :٤٥.

(٢٦) ينظر: الزهاوي في معاركه:١٦٩.

(٢٧) الطارق:١٧.

(٢٨) ينظر: المحيط في اللغة:١/٣١٠.

(٢٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن:٢٤/٣٦٣.

(٣٠) ينظر : المحيط في اللغة: ٢/٤٧٨.

(٣١) ينظر: المحيط في اللغة: ٢/٣٦٨.

(٣٢) فصول في فقه اللغة:٣٠٩.

(٣٣) ديوان الرصافي:٩٧.

(٣٤)ينظر: الزهاوي في معاركه:١٧١.

(٣٥) الليل:١٤.

(٣٦) المسد:٣.

(٣٧) المرسلات:٣١.

(٣٨) ينظر: مقاييس اللغة:٥/٢١٣.

(٣٩) مقاييس اللغة:٥/٢١٣

(٤٠) ينظر: لسان العرب:١٥/٢٤٨-٢٤٩.

(٤١) لسان العرب:١٥/٤٩.

(٤٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢/٢٠٠.

(٤٣) علم الدلالة:٢٣.

(٤٤) الشوقيات:١٧.

(٤٥)الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية:٢٤١.

(٤٦) ديوان بشر بن ابي حزم:٢٢٢.

(٤٧) لسان العرب:١٢/٣٧٧.

(٤٨) ديوان العقاد:١٢٢.

(٤٩)ينظر: الزهاوي في معاركه: ٣٦٨.

(٥٠)الحجر: ٢٦.

(٥١) الحجر:٢٨

(٥٢)الرحمن : ١٤.

(٥٣)سورة الأنعام :الآية:٢.

(٥٤)سورة الأعراف:١٢.

(٥٥)المؤمنون:١٢.

(٥٦) ينظر :تهذيب اللغة :١١٣/١٢

(٥٧) ينظر: لسان العرب:٣٨١/١١.

(٥٨) الأضداد:٧.

(٥٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣١٧/١.

(٦٠) ينظر: المعرب من الكلام الأعجمي:١٣.

(٦١) ينظر: فصول في فقه اللغة :٣٥٩.

(٦٢) ديوان الرصافي:٣٢.

(٦٣) الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية:١٦٥.

(٦٤) ديوان ذي الرمة: ٥٩٤/١.

(٦٥) ديوان عبيد بن الأبرص:٥٢.

(٦٦) ديوان أبي النجم:٤٩.

(٦٧) ينظر: غريب الحديث:١٧٠/١.

(٦٨) ينظر: الزهاوي في معاركه الأدبية :٣١٦.

(٦٩) ديوان العقاد:٤٥.

(٧٠) العين:٤٠٥/٤.

(٧١) ديوان الطرماح:١٤٩.

(٧٢) ينظر: الألفاظ الفارسية المعربة :٨.

(٧٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه:٩.

(٧٤) ديوان العقاد :٤٦.

(٧٥) ينظر: الزهاوي في معاركه الأدبية :٣١٧.

(٧٦) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٧٤/٣٨

(٧٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٢٤٩/١، لسان العرب : ٣٣/٢، وتاج العروس من جواهر القاموس: ٥١٨/٤،و

(٧٨) ديوان الأعشى الكبير:٢٣٧.

(٧٩)ديوان العقاد:٤٥.

(٨٠) لسان العرب:١٢٢/١٤.

(٨١)ديوان العقاد :١٥٨، الزهاوي في معاركه الأدبية:٣٧٢.

(٨٢) ينظر: العين:٤٥٤، ومعجم ديوان العرب: ٣٨١/٣.

(٨٣) البيت بلا نسبة ينظر :أساس البلاغة:١ /٨٣.

(٨٤) ينظر: لسان العرب:٨/٤٢١-٤٢٢.

(٨٥) ديوان الزهاوي:ج.

(٨٦) الصاحبي في فقه اللغة العربية :٣٦.

(٨٧) ينظر: النقد اللغوي بين التحرير والجمود:٣٠.

(٨٨) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: ٧٤٨/١.

(٨٩) ينظر:اللغة العربية وأبناؤها أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية:٨١.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- الألفاظ الفارسية المعربة :السيد أوّي شير ،دار العرب،الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٢- البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١ ، ١٣٧٦هـ_ ١٩٥٧م .

٣- تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ،محمد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ) تح: عبد الستار أحمد فراج ،مطبعة الكويت ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي،(ت١٢٠٥هـ)، مجموعة محققين ، دار الهداية.

٥- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦- التعريفات : علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الكتب العلمية _بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٧- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٨- توجيه الخلاف في كتب التصحيح اللغوي في العراق في العصر الحديث (أطروحة) زينب عبد جبارة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٨م.

٩- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ) ، دار التربية والتراث(د ت).

١٠- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، محمد ضاري حمادي ، دار الرشيد للنشر، العراق ، ١٩٧٨م.

١١- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، (ت ٤٧١هـ) ، تح: محمود محمد شاكر ، دار المدني_ القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ_١٩٩٢م.

١٢- ديوان أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة، تح: د. محمد أديب عبد الواحد، مجمع اللغة العربية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٣- ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس،شرح وتعليق : د.محمد حسين.

١٤- ديوان الرصافي :مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مراجعة مصطفى الغيلاني.

١٥- ديوان الطرماح، تح: د. عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت، الطبعة ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٦- ديوان العقاد، نهضة مصر، ١٩٩٧م.

١٧-ديوان ذي الرُّمَّة: غيلان بن عقبة العدوي،تح:د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان بيروت ،الطبعة ٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

١٨-ديوان عبيد بن الأبرص، شرح :أشرف أحمد ،دار الكتاب العربي، الطبعة١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٩-الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية: عبد الرزاق الهلالي، دار الرشيد.

٢٠-الزهاوي وديوانه المفقود، هلال ناجي، دار العرب، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢١-الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، دار الحديث_ القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٢-الشوقيات: أحمد شوقي ،دار العودة بيروت،١٩٨٨.

٢٣-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا الرازي، (ت٣٦٩هـ) تح :عُمر فاروق الطباع ،مكتبة المعارف، الطبعة١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٤-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور ، دار العلم _بيروت ، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٥-علم الدلالة: كلود جرمان – ريمون لوبلان ، ترجمة: د. نور الهدى لوشن. بنغازي-ليبيا، ١٩٩٥م.

٢٦-عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية _بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٧-فصول في فقه اللغة ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط٦، ١٩٩٩م.

٢٨-القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر ، دمشق -سورية ، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٩- كتاب العين : أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تح :د مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

٣٠-لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) ، دار صادر_بيروت، ط٣ ، ١٤١٤م.

٣١- اللغة العربية وأبناؤها أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية ، نهاد الموسى ، مكتبة لسان العرب ، دار الميرة.

٣٢- المحيط في اللغة ، إسماعيل بن عباد بن العباس، (ت٣٨٥هـ).

٣٣-مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) ، تح : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية_ بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.

٣٤-المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)،تح: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية _ بيروت،ط١، ١٤١٨هـ_١٩٩٨م.

٣٥- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٦- المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم :الجواليقي،أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد(ت٥٤٠هـ) تح :د عبد الرحيم ،دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٣٧- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، (ت٣٧٠هـ)، تح : أحمد صقر ، دار المعارف، ط٤.

٣٨-الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء : أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) جمعية نشر الكتب _القاهرة١٣٤٣هـ .

٣٩-النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر القاهرة ، ١٩٩٦م.

٤٠-النقد اللغوي بين التحرير والجمود ، نعمة رحيم العزاوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٨٤.

٤١-النقد اللغوي في التراث العربي ، ممدوح محمد خسارة، (بحث) مجلة اللغة العربية ، دمشق، المجلد(٨٤)، العدد(٤).